

## منهجيات التدريس التفاعلي

ما هي منهجيات التدريس التفاعلي ولماذا تكتسب أهمية؟

اعداد شارلز روبرت ديفيدسون

تشير أساليب التدريس التفاعلي إلى مجموعة متنوعة من أساليب التدريس التي تنقسم في تسليط الضوء على التوجهات المرتكزة على الطالب. فإن الأسلوب الأول المتبع لا يتواجد الآن إلا وهو الأسلوب القائم على "المصدر (الأستاذ) والمتلقي (الطالب)" ولكن ما يتواجد الآن هو الأسلوب الذي يلعب فيه الأستاذ والطالب أدوار مؤثرة وفعالة في العملية التدريسية. في النموذج التفاعلي يستخدم الأستاذ أسلوباً أو أكثر من تلك المصممة لإعطاء الطلاب فرصة العمل على المادة بشكل تطبيقي "عملي". ومما لا شك فيه أن الأساليب التفاعلية تسمح للمشاركين باقتسام المعرفة والخبرات والأفكار مع أعضاء آخرين من مجموعة الصف الدراسي. وتجدر الإشارة إلى أنه مع وجود القدرة على المشاركة الهادفة مع الآخرين يزيد استثمار المشاركين في العملية وهو الأمر الذي يجعل الصف الدراسي أكثر شمولاً واستمتاعاً لكل من الأستاذ والطلاب.

وتشير النظرية الكامنة وراء التدريس التفاعلي إلى أن الطلاب يصيرون أكثر تأثيراً كدارسين عندما يشاركون بنشاط في العملية التعليمية. ولطالما ركزت أساليب التدريس التقليدية (مثل إلقاء المحاضرات) على التدفق أحادي الاتجاه للمعلومات من الأستاذ إلى الطالب حيث يلعب الأخير في الأغلب دور المتلقي السلبي للمعلومات. وتكشف الإحصائيات التي تكثر الاستعانة بها، إلى أنه من بين جميع أساليب التدريس يسجل احتفاظ الطلاب للمعلومات أدنى مستوياته عند استخدام أسلوب إلقاء المحاضرات. بالإضافة إلى ذلك لطالما برهن أسلوب إلقاء المحاضرات على أنه أقل تأثيراً حيثما يكون الهدف هو اكتساب كفاءة عملية ما وذلك على الرغم من قيمة مثل هذا الأسلوب عند استخدامه ضمن جملة أساليب التدريس. ويعتبر ذلك بمثابة نقطة ضعف هامة ضمن سياق كليات الحقوق والتي تتمحور مهمتها الرئيسية حول تخريج مهنيين مستعدين لممارسة القانون. إن الأساليب التقليدية المتمثلة في إلقاء المحاضرات والحفظ عن ظهر قلب لا تزود المحامين الجدد بالتفكير النقدي والمهارات التحليلية التي من المرجح أن يتطلبها أي منصب سواء يتعلق بالقانون أم غيره. فإن أساليب التدريس التقليدية، عند اقترانها بمقرر دراسي يركز على التعليم النظري دون

مهارات التفكير النقدي، من شأنها التشجيع على الحفظ عن ظهر قلب وهي مهارة لها قيمة مهنية محدودة ضمن مجال ممارسة القانون في القرن الواحد والعشرين.

إن الأمثلة على أساليب التدريس التفاعلي وفيرة ولكن بعض هذه الأساليب الشائعة تتمثل في:

- العمل في مجموعات
- تقسيم الطلاب إلى ثنائيات
- المحاكاة والمحاكمات الصورية
- تدريس عن طريق الأقران
- لعب الأدوار
- دراسات الحالة
- تمارين على الكتابة بإيجاز

على الرغم من تنوع الأساليب المتوفرة فإن تلك الأساليب السابقة تشترك في قاسم مشترك يتمثل في حتمية مشاركة الطلاب والتحقق منها وفي التأكيد على أن يسود الصف الدراسي علاقات التعاون. وتعتبر أساليب التدريس آنفة الذكر ذات تأثير خاص وذلك لأنها تصل إلى الطلاب بأساليب مختلفة للتعلم عوضاً عن التعامل مع نموذج أوجد من الدارسين. ومما لا يثير الدهشة أن فحوى التدريس التفاعلي هو التفاعل أي يتم دعوة الطلاب للتفاعل مع طلاب آخرين أو الأستاذ أو الموارد البصرية (السيورة البيضاء، الفيديو ... الخ). وبالرغم من أن التفاعل غالباً ما يسير بشكل أنجح ضمن مجموعات التعلم الأصغر حجماً إلا أن حجم الفصل أو الموارد المتاحة (على الرغم من أهميتهما) ليسوا بالمحدد الرئيسي لنجاح التدريس التفاعلي. إن السبيل إلى تدريس تفاعلي ناجح يكمن في خلق بيئة تعلم داعمة حيث يشعر الطلاب بقيمة مدخلاتهم وأن كافة التفاعلات تحدث ضمن إطار من الاحترام والدعم المتبادلين.

## الاعتبارات المتعلقة بالتدريس التفاعلي

في الوقت الذي يسعى فيه التدريس التفاعلي للحصول على استجابة من الطلاب فإنه يتطلب أيضاً المزيد من المشاركة الفعالة من ناحية المعلم. فيجب على المرء أن يعي جيداً ما هي احتياجات الطلاب؟ وما هي أنواع الأنشطة التي سيتم إدراجها ضمن الدرس؟ ولماذا سيتم إدراج هذه الأنشطة بالذات؟ ذلك فضلاً عن تحديد المهارات التي تهدف الحصة التفاعلية إلى وصول الطلاب إليها. وكحد أدنى، من المهم التأكد من الأمور الآتية قبل كل حصة تفاعلية:

- ما هو الهدف التدريسي لهذه الحصة؟ ما الذي أريد لهؤلاء الطلاب تعلمه؟
- ما أهمية تعلم الطلاب هذه المادة بعينها؟ القدرة على ربط الدرس الموضوعي بهدف عملي أو مهني يجعل من اليسير اختيار أساليب تفاعلية من شأنها أن تدفع الطلاب للمشاركة بطريقة وثيقة الصلة بالموضوع وممتعة في ذات الوقت.
- كيف أريد أن يتعلم الطلاب ذلك؟ افحص الأسلوب/ الأساليب الأنسب لتحقيق هدف التعلم المرجو. وبصفة عامة من الممكن استخدام مزيج من الأساليب (مثلا المحاضرة لتقديم المفهوم، ولعب الأدوار حتى يستطيع الطلاب المشاركة والتدريب على المهارة التي تم تدريسها) وبالطبع فإن الصف الدراسي الذي يتصف بتفاعل أمثل سوف يبرز به مزيج من الأساليب.

إن استخدام مثل هذه الأساليب، مع موازمتها حسب احتياجات كل صف دراسي، يعتبر أمراً غاية في الأهمية في تدريس القانون حيث يتدرب الطلاب لكي يصبحوا مهيئين قانونيين. وبغض النظر عن التخصص فإن ممارسة القانون اليوم تتطلب ذكاءً ثقافياً وكفاءة عملية. وعلى الرغم من عظم التحديات بالنسبة لتوافر الموارد التي غالباً ما يواجهها أساتذة القانون، إلا أنه يتوجب عليهم أن يبذلوا ما بوسعهم لتضمين أساليب التدريس التفاعلي والقائمة على المهارات في ما يدرّسونه من مواد. وعليه تعظم استفادة الطلاب حيث تصبح العملية التعليمية أكثر متعة بل وفي نفس الوقت تخضع مهاراتهم العملية والتحليلية والشخصية للتطوير. صحيح أن استخدام مثل هذه الأساليب قد يتطلب المزيد من المشاركة الفعالة من ناحية الأساتذة غير أن استخدام مثل هذه الأساليب يجعل من الفصل مكاناً أكثر حيوية وأقل مللاً للدارسين أيضاً.